قسم اللغة والأدب العربي

المحاضرة الأولى في مقياس منهجية البحث الأدبي

المحاضرة الافتتاحية: مدخل نظري للبحث الأدبي

إن المنهجية تلعب دورًا مهمًا في عملية التعلم والتعليم. بحيث يمكننا استخدامها لتنظيم المواد الدراسية، وإعداد خطة تعلم فعالة، فالمنهجية تمتد حتى إلى حياتنا اليومية فهي تساعد على إدارة أوقاتنا وإدارة أموالنا وإدارة أزماتنا تسهل من عملية الإبداع والابتكار كما تعلمنا الابداع والتنظيم والبحث والتحليل الممنْهج بعيدا عن العشوائية وضربات الحظ والصدف في البحوث العلمية والتي تخلق سذاجة علمية، والمنهجية تسهل التعلم وتطوير مهاراتنا، وتتداخل حتى في بناء مهارات تواصلنا وحل مشكلاتنا من خلال إعداد خطة واضحة نسير عليها في حياتنا اليومية. فحاجة الإنسان إلى منهجية في حياته وأعماله لا تقتصر على مجال البحث العلمي فقط، بل تمتد إلى مختلف جوانب الحياة لأن التخطيط ضروري من أجل تحقيق الأهداف المسطرة أمامنا بجودة عالية.

لهذا تحرص الجامعات الجزائرية على تلقين الطلبة وتدريبهم على منهجية البحث العلمي عموما منذ سنواتهم الأولى في الجامعة وفي مختلف التخصصات المتاحة أمامهم بهدف إعداد الطلاب إعدادا منهجيا لديهم قدرات معرفية بمجال البحث العلمي من شأنهم إثراء المعرفة الإنسانية والمكتبات والمخابر الجامعية.

وتعد **منهجية البحث الأدبي**، إطار منهجي يُستخدم لاستكشاف وتحليل النصوص الأدبية بعمق. إنها عملية فنية تسمح بفهم الأعمال الأدبية بصورة أعمق من مجرد قراءتها. يقوم الباحث الأدبي بتطبيق مجموعة من الأدوات والتقنيات النقدية لفهم واستنباط المعاني والرسائل المحمولة في هذه النصوص حيث يتعامل البحث الأدبي مع النصوص الأدبية كأعمال فنية متعددة الأبعاد تحمل في طياتها ثقافة وتاريخ وفلسفة وإبداع. لهذا، يمكن أن يساهم البحث الأدبي بشكل كبير في توسيع فهمنا للعالم وتعقيداته. كما يساعدنا على الاقتراب من المؤلفين وفهم أنفسنا ومجتمعاتنا بشكل أفضل. بالإضافة إلى ذلك، يوفر البحث الأدبي الإطار اللازم لفحص وتقدير التأثير الثقافي والاجتماعي للأعمال الأدبية على مر العصور **فالبحث الأدبي** عملية تحليلية متخصصة تهدف إلى فهم النصوص الأدبية بعمق، واستخلاص المعاني والرسائل المحتملة وتقديمها بشكل نقدي.

تعريف مصطلحات درسنا:

المنهج; the méthode: يعرفه بعض الباحثين على أنه "الطريق الواضح، ومثله المنهج والمنهاج، وهو في الدرس الأدبي طريقة التعامل مع النص الأدبي تعاملا يقوم على أسس نظرية ذات أبعاد فلسفية وفكرية".

فالمنهج خطة يلتزمها الباحث أو الناقد لتحديد مساره، وضبط أفكاره، لكي يمضي بحثه إلى هدف واضح محدد، وهو ثمرة من ثمرات انضباط الفكر ومنطقيته، وعمقه ودقته ولا يمكن اليوم لأي باحث أن يمضي في أي درس مهما كان نوعه من غير منهاج يرسم له خطواته ويضبط مساره".[1]

فالمنهج هو طريقة يمكننا الوصول بها إلى الحقائق المعرفية والعلمية، فهو بهذا يوفر الجهد والعناء عن الباحث أو الدارس. أي يمكننا القول أن المنهج هو الطريقة أو الأسلوب أو النظام، ينتهجه الباحث في دراسة مشكلته والوصول إلى حلول لها أو إلى بعض النتائج

ونظرا لأهمية المنهج أو الأسلوب المعتمد في أي دراسة على اختلافها، فقد ظهر علم مستقل يدرس لنا المناهج والمنهجية وهو علم المناهج.

وعلم المناهج méthodologue: هو جزء من المنطق يدرس لنا مناهج المعرفة المتنوعة ومناهج العلوم بخاصة فمن الممكن أن يكون علم المناهج هذا خاصا محددا في إطار علم معين أو عاما أو قد يكون المقصود به ما استخدم الباحث في بحثه فقط، ويقصد به أيضا العلم الذي يبحث في الطرق التي يستخدمها الباحث لدراسة إشكالية ما[2] و حلها فعندما نطرح السؤال التالي: كيف يصل الباحث إلى المعرفة أو الحقيقة ؟

نقول أنه: من غير الممكن أن يصل الباحث إلى المعرفة والحقيقة إلا إذا اختار منهج علمي يوضح له طريق الوصول، فجميع العلوم في حاجة إلى علم المناهج للنظر في ظواهرها ومعالجة مشكلاتها، غير أن هذا لا يمنع من وجود بعض الفوارق بين علم وآخر في التفاصيل المنهجية التي تناسب كل علم فمنهجية البحث الأدبي تختلف في بعض أدواتها عن منهجية البحث في العلوم الطبيعية أو العلوم الاجتماعية مثلا.

ومنهج البحث الأدبي: هو الطريقة التي يسير عليها الباحث ليصل إلى حقيقة أو نتائج في موضوع من موضوعات تاريخ الأدب أو تاريخ قضاياه. وهو يفيد كثيرا من المناهج الأخرى في خطوطها العامة ولا سيما في التاريخ ولكنه يتميز بأنه يتعامل مع مادة فنية ونص إنشائي على الباحث فيه أن يغور إلى أعماقه ويقرأ ما وراء حروفه، إذن فطبيعة النصوص الأدبية هي التي تجعل أدواتنا المنهجية مختلفة ومتمايزة عن أدوات ومنهجيات العلوم الأخرى ونقصد بهذه الأدوات الإجرائية مثلا التجربة العينة تحليل البيانات الملاحظة وغيرها. وعليه يمكن القول أن "المنهجية هي نسق من القواعد الواضحة والاجراءات التي يستند عليها البحث في سبيل الوصول إلى نتائج علمية وأما المنهج فهو التصميم الذي يختاره الباحث لدراسة مشكلة ما"[3].

حول تعريف مصطلحي (البحث العلمي):

البحث في التعريف اللغوي: من مصدر الفعل الماضي (بحث) بمعنى: اكتشف، تتبع، سأل، تقصى...الخ

العلمي: كلمة منسوبة إلى العلم والعلم في معناه الواسع يعني المعرفة والدراية وإدراك الحقائق وهو المعرفة المنسقة التي تنشأ من الملاحظة والتجريب.

والعلم هو نظام من **المعرفة** المنهجي والمنظم بطبيعة الحال يستند إلى البحث والتجربة والدراسة الدقيقة من أجل فهم وشرح جميع الظواهر والأحداث من حولنا، وهنا نقف عند مصطلح المعرفة الذي ذكرناه في هذا التعريف ماذا نقصد بالمعرفة؟

المعرفة هي مجموعة من المعاني والمعتقدات والمفاهيم والتصورات الذهنية للإجابة على تساؤلات الإنسان الشغوف بالتقصي والبحث عن الحقائق المعرفية، وهي نتيجة لمحاولات الإنسان المتكررة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به[4] فنحن نكتسب معارفنا من خلال التعلم المستمر ومن خلال البحث والتجارب التي نقوم بها أثناء دراستنا لظاهرة أو مشكلة ما، حيث يمكن أن تكون معرفة تقنية ترتبط بالتخصصات العلمية أو ثقافية ترتبط بالفلسفة والتاريخ والأدب كذلك.

وإذا ما عرجنا إلى تعريف مصطلح **العلم** نقول: هو "مجموعة من المعارف والمفاهيم التي تستخدم في الوصول إلى حقائق واكتشافات جديدة بهدف التفسير أو التنبؤ أو الضبط"[5]، فالتفسير بمعنى فهم وشرح المعلومات أو البيانات أو النتائج، والتنبؤ في العلم هو التوقع الدقيق للأحداث إعتمادا على استخلاص النتائج من البيانات ويستعمل في الكثير من العلوم مثل التنبؤ بالطقس ...الخ، أما الضبط هو التحكم في البيانات المستخدمة لأجل الوصول إلى نتائج مضبوطة.

تعريف البحث research: هو البحث عن الحقيقة وتقصيها واذاعتها بين الناس، ويمكن القول أنه عملية استقصاء منهجية هدفها الكشف عن المعرفة الجديدة أو فهم وتفسير الظواهر الموجودة بشكل أعمق ويشمل البحث مثلا تصميم الدراسات، وجمع البيانات، وتحليلها بعناية، واستنتاج النتائج بناءً على الأدلة المتاحة.[6]

وأما في تعريفنا للبحث العلمي نقول أنه: "عملية فكرية منظمة يقوم بها شخص يسمى الباحث من أجل تقصي الحقائق في شأن مسألة أو مشكلة معينة تسمى موضوع البحث (باتباع طريقة علمية منظمة تسمى (منهج البحث) من أجل الوصول إلى نتائج صالحة للتعميم على المشكلات المماثلة (نتائج البحث)"،

ويمكننا الوقوف عند تعريف آخر يقول: "أن البحث العلمي هو استقصاء منظم يهدف إلى إضافة معارف يمكن التحقق من صحتها عن طريق الاختبار العلمي الشامل والدقيق لجميع الشواهد والأدلة التي يمكن التحقق منها "[7]. والمعنى من هذا التعريف أن البحث العلمي استقصاء منهجي منظم يهدف إلى إنتاج وإضافة المعرفة والمعلومات الجديدة إذ يتطلب البحث العلمي التحقق من صحة المعلومات عبر استخدام الأساليب العلمية والاختبار الشامل للشواهد والأدلة.

فرغم اختلاف زوايا التعريفات التي اكتفينا بها في هذا الإطار لكل من مفهوم المنهجية والبحث العلمي في عمومه فإننا نجدها تنتهي إلى معنى واحد يتفق على أن البحث العلمي هو ضرورة الإنسان في هذا العالم من أجل استمراره في الحياة وتحسين هذا العالم ولا يتحقق هذا الاستمرار إلا عن طريق تتبع الحقيقة وتقصيها وحل مشكلاتها وتقديم النتائج الأفضل لخدمة الإنسانية وحاجاتها. عن طريق اتباع منهجية تنير له طريق التقصي.

إذا ما التزم الباحث بمنهجية البحث العلمي، يضمن له الدقة والموثوقية في النتائج التي يحصل عليها، كما يساهم في تقدم المجتمع ورفع مستوى العلم والمعرفة. لأن البحث العلمي يشكل إرثًا مهمًا للأجيال القادمة، لهذا يتطلب أن نكون على دراية تامة بأدواته ومنهجيته قبل الخوض في غمار أي بحث مهما كانت طبيعته أدبي أو علمي.

البحث العلمي ومثله البحث الأدبي هو مسؤولية كبيرة له شروطه وقواعده في مقدمتها الأمانة العلمية والمثابرة والصبر والصرامة والصدق في تحري النتائج وتقصيها وتقديمها لأفراد مجتمعاتنا حول العالم وهذا يدخل ضمن أهمية البحث الأدبي، وأهدافه وطبيعته والتي سنخوض فيها أن شاء الله في الدرس القادم.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في إعداد الدرس:

---

[1] _ وليد قصاب : مناهج النقد الأدبي الحديث،

[2] – علي جواد الطاهر: منهج البحث الأدبي،

[3]_سعد سلمان المشهداني: منهجية البحث العلمي،

[4] - سعد سلمان المشهدي: منهجية البحث العلمي

[5] - سعد سلمان المشهدي: منهجية البحث العلمي.

[6] – علي جواد الطاهر: منهج البحث الأدبي،

[7] - عصام حسن الدليمي، علي عبد الرحمان صالح: البحث العلمي أسسه ومناهجه،